

الباب الثاني

ترجمة أبي القاسم الشابي (١٣٢٧-١٣٥٣هـ / ١٠ - ١ - ٣ م)
الفصل الأول: لمحة عن ترجمة أبي القاسم الشابي

1. ولادته:

خمسٌ وثمانونَ سنةً مضت على ميلادِ الشاعرِ العَبْقَرِيِّ الفدّ، أبو القاسم الشابي. ولكن ذكرى ميلاده هذه تمتزج بسمات أفراسها بملامح الكآبة، ودموع الحزن والأسى. ذلك أن الشاعر قد مات، وهو بعد شاب، لم يتجاوز ستا وعشرين ربيعاً. فكان عمره بيننا لحظاتٍ قصيرةً كأعمار الأزهار ما أن تشرأبُ للهواء وللثور، حتى تمتد لما يد القدر، فتقتلعها وتخصر أيامها، وهي بعد برعم لم يفتح، وحياة تكتمل. ورغم قصر السنوات التي عاشها الشابي بيننا، فقد غنى للإنسانية أروع الأغاني وأعذبها. وترك تراثنا يزداد مع الأيام قيمةً وارتفاعاً: حتى غدا به الشابي في مدى ربع قرن فقط، أعظم شاعر أنجبته الأمة العربية في عصرها الحديث.

لقد ولد الشابي عام (١٣٢٧هـ / ١٠ م) وقطع بعد ولادته مرحلتين في سير الزمان الأبدي؛ مرحلة ما يقارب القرن على ميلاده، ومرحلة قرون يبقى فيها حياً من خلال إبداعه. أدّا، فنحن نستقبل اليوم الذكرى الخامسة والثمانين لميلاد الشابي في عالم الخلود. ذلك الخلود الذي كان الشابي يحترق شوقاً إليه، ويسعى جاهداً يقلبه الطموح، وخياله الخصب، وشعوره الملتهب، ليبغ سفح جبله المقدس: فإذا به يحلق نسرًا جبارًا فوق قمته الشامخة؛ وإذا بالشابي روح سماوي يرفرف فوق كلّ الرؤوس، وآية خارقة في حياة البشر.¹⁷ وإذ بميلاد الشاعر، يبني مجد أمة ويصنع تاريخ شعب، ما كان شيئاً مذكورًا في عالم الأدب اليوم؛ لولا أن هتف به من أعماقه في حرارة وإخلاص، يدعوه للنهوض من نومه في أحضان الماضي وكهوف الظلام، ولقد

¹⁷ كرو: أبو القاسم محمد:

:ص: 13-14.

اختلف المؤرّخون لحياة أبي القاسم الشابي حول يوم مولده، والشهر الذي وقع فيه ذلك اليوم؛ ولكنهم أجمعوا على أن مولده كان في سنة (٠ م) وفي شهر مارس/ آذار. وكانت ولادته في بلدة (الشابية) وإليها نسبته، وفيها دفن.

فهو – إذا – من أبناء العالم القدسي، الذي يرمي إليه الشاعر بأشواقه ومهجته، وهو بعيدٌ عنه منتهى البعد، وكأنه وراء هذه الحدود المادية وبعد هذا الكون المموه. ومنذ ولادته أحبّ الحياة في صميمها، والذا كثرت ثورته على هذا الوجود المشوّه الذي لا يقدم للحَيِّ، الصورة الجميلة الكاملة التي ينشدها.

هناك قيم تتصل بالحياة المثالية، أراد لها منذ يوم مولده، أن تتحقق للفرد والجماعة. فهو إذ يدعو الشعب إلى إرادة الحياة، لا يدعو إلا (هذه الحياة) التي يعيشها الناس في يومهم هذا، وإنما يدعوه إلى مستقبل يجب عليه خلقه وانشأؤه.¹⁸ ولقد رأينا تعميمًا للفائدة، أن ننهي الحديث عن ولا دته، ليقف القارئ على واقعها. بما ذكره الأستاذ عامر غديرة، في كتاب (دراسات عن الشابي) تحت عنوان (محاولة جعل إطار لترجمة الشابي) بنصه وحرفه (ونحن نعلم يقينًا أنه ولد سنة ١٣٢٧هـ / ٠ م) غير أننا نجد في مطالعاتنا، وفي محادثاتنا مع أولي الأمر، تناقضًا كبيرًا واختلافًا، ففكرنا في الرجوع إلى مصدر وثيق مثل الحالة المدنية، لنعلم بالتدقيق سنة الولادة والشهر واليوم، وحتى الساعة؛ فوجدنا أن الحالة المدنية لم تحدث بعد بمدة ينة توزر عند ولادة أبي القاسم. فأعملن الرأي من جديد وطالعنا برخصة من عائلته دفتره الريتوني، فلم نعثر مع الأسف على تاريخ الولادة. ورجعنا إلى أخيه الأمين، وقد قدّم سنة (٥٥ ١) لأغاني الحياة فلم نره ذكر إلا السنة. أمّا الشاعر نفسه، فإنه رضي بتاريخ نشر في حياته، ولا أدري مامصدره وهو تاريخ ٣ صفر ١٣٢٧ (٢ فيفريي ٠ ١) ¹⁹ ثم نحن تجاسرنا

¹⁸ القليبي: الشاذلي: عن مجلة الندوة التونسية-العدد الخاص بالشابي-أكتوبر/ تشرين الأول سنة (1953) ص: 8-9.

¹⁹ الأدب التونسي، جمع السنوسي تونس 1927 ص: 202 .

فألحنا في السؤال على أسرة الشاعر، فقيل لنا إنه قد يكونو ولد حوالي موالد في تلك السنة يوافق يوم 3 إفريل 1909²⁰ وعلى كل فلقد ولد أبو القاسم في ربيع توزر سنة (٠ ١) ما بين ٢ فيفريي و٣ إفريل.

2.حياته:

إنَّ أبا القاسم الشبابي بذاتها، تعبّر عن حبّه للحياة، وفتنتها؛ ولكن هذه النبرات برحيق الحياة سرعان ما تنكسر، فتتحول إلى كآبة وتبرّم، وإذا الشاعر يتساءل عن معنى الوجود، وينتبه إلى أنّ الجهال فيه، قد لا يكون إلا مظهرًا خلابًا، وسحرًا مزورًا.²¹ فهو يتغنّى مثلاً بجمال العذارى في قصيدة (الجمال المنشود) ثم فجأةً يتساءل:²²

مَا الَّذِي خَلَفَ هَذِهِ الْفِئْتَةَ الْغَرَّاءَ فِي ذَلِكَ الْقَرَارِ الْبَعِيدِ

أَنْفُوسٌ جَمِيلَةٌ كَطَيُورِ الْغَابِ تَشْدُو بِمُسْتَرْقِ النَّشِيدِ

....ام ظلامٌ كأنَّهُ قِطْعُ اللَّيْلِ بَلْ وَهَوْلٌ يُشَيِّبُ رَأْسَ الْوَلِيدِ

وهو إلى جانب ذلك: يجد في نفسه كراهية متأصلة للحياة، تنبو عن زخرفها الكاذب؛ ويرى في روجه توقًا ينزع به إلى عالم مثالي حق. وإذا التقى بالحياة في بعض آياتها الفاتنة، أعرض عن ذلك التشاؤم القاتم، وتغنّى بها نشوة العاشق الولهن.

والشيء الذي يلاحظ في شعر أبي القاسم عامة، هو رفضه للحياة البشرية على أنها مظلمة مزيفة، يصيب الإنسان فيها الشقاء والألم: واتجاهه بحياته الفنية إلى عالم الغيب يتلأأ نورًا وسعادة. وبذلك نرى أنه من البداية ارتقى بشعره إلى النغمات الكبرى الخالدة، ورجع به إلى المنهل الأول، وهو توق الإنسان إلى عالم الغيب، وتجاوزة نحو المطلق. هذا العالم القدسي الذي يرمي إليه الشاعر بأشواقه ومهجته،

²⁰ كرو: أبو القاسم محمد-الشبابي حياته وشعره، بيروت (1952) يقول ص: 124 إنه ولد في شهر مارس. ويقول ابن شنب في المراجع المذكور انه سنة (1910).

²¹ كور: أبو لقاسم محمد: ص: 9.

²² الشبابي: أبو القاسم الحياة - ص: 109.

بعيد عنه في منتهى البعد، وكأنه وراء هذه الحدود المادية، وبعد هذا الكون المموءة. وهو يرمز إليه (بالنور) و(الصباح) ²³ وغير ذلك من الصور التي تعبّر عن شوقه إلى الفجر الأبدي يضيء ظلّمان نفسه؛ وينقذه من حيرة الوجود. إلا أنه لم يقلع عن العالم الدنيوي الممقوت، ولم يستطع التخلص من ظلماته. ولذا كثرت في شعره الصور التي تمثله على طريق موحشة (والفجر بعيد). فالوجود لا معنى له، ولا قيمة، لأن الغيب قد نغصه عليه ودخله من خلف: وحلّ فيه كالليلة الدهماء وامتصّه: فتداعى لديه العالم بأسره كالجذع النخر، وبقي وحده يعالج هذا الحنين إلى (ما بعد) فرفض الشابي للوجود له مظهران متلازمان: الثورة على الواقع، والسعي نحو النور، أو طلب الصباح. وهذه الثورة على الواقع هي المحرك العاطفي الأساسي لحياة الشاعر الباطنة، وهي التي تبعث مواقفه، وتوجه أدواقه. وهذه الثورة لا ترمي - من خلال شعره - إلى تغيير الحياة وانشائها من جديد، وإنما هي ثورة تهديمية، ناتجة عن يأس متغلغل في أعماق نفسه، وملل وسامة، واردة تحطيم وتقويض؛ هذه العناصر الثلاثة، هي يناهين قريحته. ²⁴

3.نشأته:

نشأ أبو القسام بن محمد بن أبي القاسم بن إبراهيم الشابي، بشابية توزر، من الجنوب التونسي. ²⁵ وكان أبوه محمد الشابي قد قفل من مصر مجازاً من الأزهر، حيث درس على الشيخ محمد عبده المشهور. ²⁶ وإنا لا نعلم متى رجع بالضبط، وإنما كل ما أتيج لنا تحفيقه، هو أن رجع ليتولّى خطة القضاء ببعض جهات البلاد

²³ هذه الكلمات الموضوعية بين هلالين مأخوذة من قصائد الشابي، وترمز إلى التعبيرات المشار إليها.

²⁴ كرو: أبو القاسم محمد: دراسات عن الشابي: ص: 11 .

²⁵ أنظر المهدي في (الأفكار) ديسمبر/ كانون الأول ص: 83 والسنوسي في كتابه الشابي حياته وأدبه المطبوع بتونس سنة (1956).

²⁶ أنظر المهدي في (الأفكار) ديسمبر/ كانون الأول ص: 83 والسنوسي في كتابه الشابي حياته وأدبه المطبوع بتونس سنة (1956).

التونسية؛ وأن أول تسمية رسمية اطلعنا عليها هي تسمية (بسليانة) ولقد صدر له الأمر بتاريخ ١١ ربيع الأول (١٣٢٨) الموافق (٢٢ مارس/ آداء ١٠ ١) أي بعد ولادة أبي القاسم الشابي بسنة تقريباً. ومن هنا كانت نشأة شاعرنا في ظلّ أبيه، الذي عين قاضياً بقفصة في ٢١ رمضان (١٣٢٢هـ) الموافق ١ سبتمبر/ أيلول (١١ ١) ومن قفصة ينتقل في ١٥ صفر (١٣٣٢هـ) الموافق (١٢ جانفي/ كانون الثاني (١ ١) إلى قابس. ومن قابس ينتقل بتسمية جديدة مؤرخة في ٢٢ رجب (١٣٣٥هـ) الموافق (١ مايو/ أيار ١٧ ١) إلى جبال تالة. ثم تأتي تسمية أخرى بتاريخ ١٧ ربيع الأول (١٣٣٧هـ) الموافق (٢١ ديسمبر/ كانون الأول ١٨ ١) فيرتحل الشيخ القاضي إلى مجاز الباب. ومن المعقول أن جميع العائلة تتبع الأب (القاضي) في تنقلاته هذه (ولا ندري هل الرحلة تسبق بقليل الأمر الرسمي الذي نذكر دائماً تاريخه، أم الالتحاق بالمركز يقع بعد الاتصال بالتسمية بأيام قلائل، ويقضي الطفل أبو القاسم كل هذه الرحلات، قسماً وافراً من حياته. وإنا نجد في سنة (١٨ ١) قد دخل في العاشرة من عمره. وهو طفل، قد أتفق كل من سمعناه، أو قرأنا له، على أنه كان في أرغد عيش، وفي أطيب حياة.²⁷ وما ذلك إلا لأنه ينشأ في ظل والد لا يغيب عنه ببصره أو ببصيرته، بل يراه بشغفٍ من الحب والحنان، والتربية الإنسانية الموجهة، في طريق الاستقامة، والقيم الروحية الأصيلة وكذا، فإنه وجد في والدته العطف المملوء بالاهتمام الزائد، والملاحظة الكيسة، والرعاية الدائمة ليل نهار. ومن خلال هذه التنشئة الأبوية، وجد شاعرنا تنشئة مترعة بعوامل دفع لقدراته الخبيثة، وانضاج لرؤيته، ولواقع الحياة، وللكون من حوله، وإثراءٍ وتعميقٍ لتجربته الشعورية.²⁸ وجديرٌ بنا، حين نتحدث عن نشأة أبي القاسم الشابي، أن تذكر ما كتبه

²⁷ الستوسي: زين العابدين – الأدب التونسي في القرن (14هـ) الجزء الأول – تونس (1926) ص: 11.

²⁸ كرو: أبو القاسم محمد: دراسات عن الشابي. ص: 44.

أخوه (محمد أمين الشابي)²⁹ في كتاب (ديوان. أبو القاسم الشابي)³⁰ وفيه يقول ما نصّه: (هو من أبناء القرن العشرين، الذن نشأوا فيما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، أيام كان العالم العربي يتعثّر بين حاضره الأليم وماضيه القريب المنقوص؛ ودعاة الإصلاح وأنصار الجديد في تلك الفترة الانتقالية، إنما يلقون جحودًا وأذى لا تزيدهما سيطرة الغرب على الشرق، وشموخه بحضارته، ووثوقه بمصيره، إلا احتدامًا وسطوةً لدى فريقٍ واسعٍ من الخاصة والعامة على السواء..... لم ينشأ أبو القاسم بمسقط رأسه، فقد خرج عنه في سنته الأولى ولم يكدر يعرفه إلا قليلاً، أثناء قَدِّ مَتَيْنٍ أقام فيهما نحوًا من ثلاثة أشهر، الأولى عند ختانه في الخامسة من عمره، والثانية زائرًا. وقد استغرقت جولة الأسرة عشرين سنة ضربت في بحرها بالبلاد التونسية طولًا وعرضًا، متنقلة من قابس إلى سليانة فتالة، ومن مجاز الباب إلى رأس الجبل فزغوان. وبين هذه المدن من الأميال، ما يقدر بالمئات أحيانًا، وعلى نسبة ذلك اختلاف العادات واللهجات والمشاهد الطبيعية. فلم تكن واحة قابس كبسات مجاز الباب يغمرها الحصيد، ولا هذه كبساتين رأس الجبل، أو كجبل زغوان يكسوه شجر الصنوبر. ولم يكن حرُّ قابس كتلوج تالة، ولا حياة الفلاحين بمجاز الباب، كحياة صيادي البحر بقابس أو رأس الجبل، ولا طباعُ أهل الشمال كطباع أهل الجنوب.... هذه مراحل نشأة أبي القاسم، عملت على تضخّم تجربته، وتدقّق شاعريته، وازدهار ريشته. بيد أن الشاعر أفاد ما يفيد كلُّ عابر سبيلٍ متيقظٍ واعٍ، إذا ما استقرّ بأرضٍ كان ربيها لا ابنها الأصيل. فأطلقه هذا المصير من حدود البيئة الضيقة وأكسبه (تونسية) إنسانية الآفاق).

4. صفاته:

²⁹ هو شقيق أبي القاسم. عين أول وزير للتربية القومية إثر الاستقلال. وهو الآن رئيس اللجنة الثقافية القومية التونسية.

³⁰ إسماعيل: عز الدين - ديوان. أبي القاسم الشابي. دار العودة - بيروت (1988).

لابأس من ذكر صفاته الجسدية، إلى جانب صفاته الروحية والنفسية والخلقية، التي وصفها أقرب الناس إليه التصاقاً: بدءاً بأشقائه، وانتهاءً بالأدباء والشعراء الذين عاصروهم، وعرفوه عن قرب حق المعرفة خُلُقًا وخُلُقًا. ويقول شقيقه محمد أمين الشابي في كتاب (ديوان أبو القاسم الشابي)³¹ ما نصّه في وصف أبي القاسم (نحيف الجسم، مديد القامة، قويّ البديهة، سريع الانفعال، حادّ الذهن، تكفّف رقة طبعه من عرب عاطفة وحدة ذهنه. يراه أصدقاؤه بشوشاً، كريماً، وديعاً، متأنقاً، طروباً لمجالس الأدب، يحب الفكاهة الأدبية.³² ويراه من لم يخالطه حبيباً محتشماً، ويعرف منه هؤلاء وأولئك، صراحة حازمة قوية يبيدها لخاصّة خلطائه، في غير ما تحرّج، متى اجتمع بهم؛ ويجاهر بها العموم في شعره ونثره. وكان محباً لبلاده الوطنية.³³ يؤمن بأن لقادة الفكر رسالة إنسانية سليمة، حاول جهده أن يحققها في أثناء حياته القصيرة قولاً وعملاً.

5.دراسته:

بدأ أبو القاسم حياة التحصيل منذ صباه الباكر، حيث ألحقه أبوه بلكتاب، لحفظ القرآن الكريم. وفي سنّ التاسعة، كان قد حفظ القرآن كلّهُ: فقرّت به عين والده. ولعلّه – أي الوالد – قد رغب في أن يوجهه إلى دراسة من نوع دراسته، فتعهد بنفسه على مدى عامين؛ يلقّنه

³¹ الشابي: محمد أمين: ديوان – أبي القاسم الشابي – في باب ترجمة حياة الشاعر. ص: 549.

³² الفورتي عميد: البشير (عميد الصحفيين التونسيين، مجلة العالم الأدبي – عدد ديسمبر/ كانون الأول سنة (1934).

³³ ابنه في ذكره الأربعة المرحوم الطاهر صفر. أحا قادة الحركة الوطنية الممتازين إذ ذلك، وأحد أعضاء الديوان السياسي للحزب الحر الدسوري التونسي بما لاصّة: (يكلم الأستاذ صفر نيابة عن قدماء الصادقية عن شاعرنا الفقيه: فأكبر روحه الأدبية ونبوغه الشعري. وأشار إلى الناحية الوطنية، والإحساس الفياض، الذي كان الشاعر يفيض به عن آمال بلاده وآمالهاز

وقد ذكر الخطيب أنه اجتمع مع فقيدنا الشابي في بلدة طبرفة، حينها كان الشاعر في حال شديدة من الألم. وقد دار إذ ذلك الحديث بين الشاعر والزعيم في الوطنية، عما يؤمله الشعب التونسي، من التقدم. ورثى الشاعر لحال الشعب الآن. وقد عبر عن ذلك في قطعة شعرية وطعة شعرية وطنية، نشرته جريدة (العمل) عدد (22). و(العالم الأدبي) في ديسمبر/ كانون الأول سنة (1934)

(الشابي: أو القاسم: – ص 564-565).

علوم العربية، ومبادئ العلوم الدينية، ويرشده إلى يطالع من الكتب التي كانت تحتويها مكتبته.

وفي مستهل عامه الثانية عشر، قدم شاعرنا إلى تونس، لكي يستأنف دراسته بجامع الزيتونة. وبعد مضي مايقرب من تسع سنوات، حصل أبو القاسم على نفس الإجازة التي حصل عليها أبوه من قبل؛ لكن استعداده كان مخالفاً لأبيه، حيث استأثرت باهتمامه دواوين الشعر العربي، التي أتيح له أن وتفتح: فإذا به يكتب الشعر، وهو بعد لم يتمّ عامه الخامس عشر. ومنذ ذلك الوقت، عرف أبو القاسم طريقه وعرف قدره. لقد كان الشعر طريقه، وكان قدره المقدور.³⁴

إنّ الشابّي لم يتعلّم لغة أجنبية، يستطيع من خلالها أن يطلع على الآداب الغربيّة، والفكر الغربي؛ بل كانت ثقافته عربية صرفاً. لكن هذه الغرابة تزول، عندما نعرف أن الظروف قد هيأت له، - من خلال الترجمات- أن يطلع على جوانب وآفاق في التجربة الشعرية الغربية، ممثلة في أشعار الرومانتيكين؛ أمثال: لامرّتين، ودي فيني، وبيرون، وشلي، وأن يتعرف على مفهوم الشعر لدى هؤلاء، من خلال الكتاب العرب الذين كانوا يقودون حركة التجديد الشعري في الربع الأول في هذا القرن.

لقد قرأ ما كتبته مدرسة الديوان في هذا الصدد، وبخاصة ما كتبه القاد عن مفهوم الشعر، وطبيعة العمل الشعري و وظيفته؛ متعمداً في هذا كله، على أصول أكدها الشعراء والنقاد الرومانتيكيون الغربيون من قبل وفي الوقت نفسه، كان الشعراء العرب في المهجر الأمير كي، يؤكدون في أشعارهم، وفي كتاباتهم، نفس الهموم. وكما كان العقاد بأفكاره أثيراً لدى شاعرنا، كان حبر ان بشعره أقرب الناس إلى قلبه. وهكذا استعاض الشابّي بما طرحه هؤلاء وهؤلاء من مفاهيم عصرية،

³⁴ الشابّي: أبو القاسم: الديون - دراسة وتقديم الدكتور عز الدين إسماعيل. ص: 11.

ومبدعات أدبية، متأثرة في أصولها بالرومانتيكية الغربية، عن القراءة المباشرة للرومانتيكية، نظريةً وأدباً.³⁵

وحين تذكر هذه الروافد التي رفدت ثقافة شاعرنا بحصيلة طيبة من الأدب الغربي، والفكر الأدبي، ينبغي أن نذكر، بأن الشابي، قد تتقف ثقافة عربية واسعة: وكان فيما يرى فيها من رأي، إنما يصدر عن معرفة كافية بها. ولكنه كذلك، قد ألمَّ بأطراف مختلفة من الثقافة الأدبية الغربية، بصورة مباشرة عن طريق الترجمات؛ وبصورة غير مباشرة، عن طريق الكتاب والأدباء العرب، في مصر وفي المهجر، وفي تونس نفسها؛ فهياً له هذا الاطلاع، رؤية أدبية وفكرية أرحب وأعمق.

ولم يلجأ الشابي أمام هذين الطرازين في دراسته، ومن الثقافة، إلى البحث عن صورة جديدة، يتم فيها التكامل والمواءمة بينهما؛ بل كان موقفه الذي اختاره إلى جانب الثقافة العصرية حاسماً ونمائياً. وهو بهذا الموقف، لم يكن يواجه في بيئته التونسية التخلف الفكري والأدبي فحسب، بل كان يواجه النزعة المحافظة في المجتمع في أشكالها وصورها المختلفة. تلك النزعة المتشبثة بالماضي، الواقعة في أسر قوالبه وأطره: والغافلة عن الواقع الراهن: فضلاً عن استشراف المستقبل.³⁶

6. مجالسه:

من خلال ما مر معنا في نشأة الشابي، ومن خلال ما حدثنا به عنه أصدقاؤه والمعجبون به، نميل إلى الاعتقاد، بأن شاعرنا كان رجلاً ناضجاً رغم صغرسنه: وأنه قد عرف الحياة وبلاها، وتحدث عنها وهو يعرف ما هي: وخاصة في أخريات أيامه المليئة بالتأمل

³⁵ المرجع نفسه: ص. 12

³⁶ الشابي: أبو القاسم: الديوان - دراسة وتقديم الدكتور عز الدين إسماعيل ص: 13

والفهم والتذوق. ومن ذلك يبدو لنا، أن الشابي في مجالسه، كان يعبر عن فهمه للحياة فهما نزع فيه منزع العمق، والذهاب مباشرة إلى اللب والصميم منها، بفضل إحساسه الصادق وروحه النيرة. وبذلك لم يكن الشابي في حاجة إلى قضاء السنين الطويلة في التجارب والفشل - أحياناً- ليصل في النهاية إلى الإحاطة بجوهر المجالس في التجارب والفشل-أحياناً-ليصل في النهاية إلى الإحاطة بجوهر المجالس في حياته، أو بشيء منه. والمجالس في حياة الشابي، مجالس وجودية؛ وهو نضج من خلالها في حقبة زمنية، تتراوح بين عشرين وخمسة وعشرين عاماً؛ وأدرك أن صميم الحياة يناديه؛ فأصاخ وهو ابن هذا العمر السخيّ القصير إلى الآخرين يسمعهم -وهو يحدثهم- ومن ثم يحببهم بما يزر به قلبه، من ثروة هائلة تفيض بإيمان مطلق بسنن الحياة وقوانينها. وكان أهل مجلسه، يرون لسانه يلهج بنار متأججة من الشوق إلى الحياة، وحب اعتناقها، وهي في أكرم صورها وأخلص عناصرها المجردة من شوائب القشور، ومبتسر التجارب الخائبة. وقد جاهر بعض محدثيه في جلسة مفعمة بالصراحة المتناهية حول ما يعتقد ويعتقدون فقال يخاطبهم (سلكت إلى فهم الحياة، طريق الشعور الملهم الذي يتجاوز الأشكال العقلية، ومنطقها الجامد وهو محمول على أجنحة من النور. أمّا أنتم فسلكتموها تمشون على الأرجال، في طريق المنطق والعقل، المليئة بالحفر والمنعرجات، والحيل البليدة فتضيعون العمر في البحث والنظر، أو تضيعون العقل الذي أسلمتم له القيادة، فلا نكد نصل معه إلى شيء من جوهر الحياة، إلا قبل أن نودّع الدنيا بربع ساعة....³⁷

ويتكلم عنه الأستاذ إبراهيم أبو رقعة في مجالسه فيقول: (وقد حدثني أبو القاسم عن نفسه أن الطور الأول الذي قطعه من حياته الفكرية، هو التمسك والانقطاع إلى العبادة... وأنه يقضي اليوم واليومين لا يخرج من معبده؛ وربما مكث الزمن الطويل بدون طعام

³⁷ كرو: أبو القاسم محمد - دراسات عن الشابي - ص: 64 .

أوشراب تعذيباً للنفس، وكرهاً لهاته الدار. وكنا يؤمل أن يأتيه في وحدته طائفٌ يخبره بالغيب، ويبشره برتبة القطب أو الغوث (لست أدري).

ومن تلك المجالس التي تذكر لأبي القاسم مع أصدقائه والمقربين إليه، نقتطف ما يتسع لها مجال الذكر، ونجعلها في ثلاث مراحل:
المرحلة الأولى:

تلك التي دخل فيها والده جامع الأزهر، وتخرج منها قاضياً شرعياً، يدرس مذاهب المتصوفة التي حفظها عن كتاب الاحياء للغزالي؛ حيث أثر تأثيراً خسوساً في نفس أبي القاسم، الذي فتح عينيه على مجلس أبٍ يخاطبه مخاطبة العابد المتسك، يبغض الدنيا ولا يحفل بها، ولا تساوي في نظره جناح بعوضة.³⁸
والمرحلة الثانية:

هي مرحلة التخفي عن أعين أبيه، في أدبه وشعره الخارج عن روح المحافظة على القديم. وفي هذه المرحلة تحدّث عنه رفاقه في مجالسهم؛ فذكروا أنهم كانوا يرونه، زقد أثقل جيوبه بالتحارير من أشعار وقصص. وكان بطلعهم على أفكاره ونظرته إلى الحياة. وذكروا أنهم كانوا يزورونه في منزله القائم داخل مدرسة جامع الزيتونة³⁹ فيطلمهم على التحارير والأوراق التي تشغل مكاناً خفياً من البيت. وكانوا يسألونه عن سبب إخفائها، فيجيبهم بأن والده وضع رقيباً عليه، يمنعه من إضاعة وقت دراسته بنظم الشعر، والاطلاع على أدب الغرب، ولهذا فهو يخفي هذه الأوراق عن الأنظار، خشية وقوف المكلف بمراقبته في التعليم من طرف والد عليها. إذ كثيراً ما عثر له على تقييدات أدبية، فأشبعه لوماً وتعنيفاً، وربما رفع الأمر إلى والده، فتأتي رسائله مملوءة بالتهديد والوعيد.⁴⁰ وفي هذا المجال يقرل إبراهيم أبو رقعة ما نصّه: (...وقد وجدت وقتئذٍ نثر أبي القاسم أكثر من شعره.

³⁸ كرو: أبو القاسم: محمد دراسات عن الشابي. ص: 74 .

³⁹ الشابي محمد أمين ديوان: أبو القاسم الشابي. ص: 507 .

⁴⁰ أبو رقعة: أبراهيم: حياة أبي القاسم الشابي-دراسات عن الشابي. ص: 73 .

ووجدت صدره ضيقاً حرجاً بأدبياته، ليس له قرين يبادلُه القول، أو يناقشه النظر. ولا يوجد حوله إلا الرقباء والأعين: حتى إذا رآوا بيده ورقة أدبية مزقوها، أو كتاباً أدبياً أتلّفوه. وكانت تلك الساعة التي اجتمعت معه فيها، من أفسح الساعات وأطيبها. وقد سألتُه لماذا لا تنشر البعض من هذا النثر والشعر بالجرائد السيّارة، والحال أنه بلغ حدّ الكمال، فوحدت الفتى مرتاباً في نضوج تحريراته، ويخشى من الفكر العام أن يقابله بالهزء والسخرية، كما أنه يخشى غضب والده، وغضب المتعهد برعايته. ولم أخرج من بيته، حتى تسلّمتُ منه قطعة شعرية رائعة، وسلمتها إلى السيد حسين الجزائري، صاحب جريدة التديم؛ وقد حان وقتنذ بروز عدده الممتاز، فنشرهات تحت عنوان شاعر الوجدان أبو القاسم الشابي، فكان شكراً وثناءً وتنشيطاً من عموم الأدباء، ولوم وتعنيف ممن تعلمون.⁴¹

والمرحلة الثالثة

هي مرحلة نضوج مجالسه، بعد اطلاعه على قصائد شعراء الحدّاث، ومنهم جبران خليل جبران، وغيره من كُتاب المَهْجَر، ووجد في نفسه راحةً إلى نثرهم وشعرهم لأن شعر ونثر هؤلاء عليه المسحة الصوفية، وذلك لبعده عن الماديات وتعلّقه بسر الوجود والحياة. وأصبح أبو القاسم ينطق في مجالسه باللسان الذي ينطق به جبران، وعنون كتائبه وأشعاره بمثل العناوين التي عنون بها جبران كتائبه وأشعاره.

طوّر أبو القاسم الثالث من مجالسه الفكرية في شعره، هو طور النضوج والاستقلال في الرأي والتفكير، والاختراع في الأدب والابتكار. وكان يحدث جلساءه عمّا طالعه من آلاف مجلدات كتب الأقدمين، وكل ما وصلت إليه يده من كتب المتأخرين وقد زادت شهرة أبي القاسم، في المرحلة الثالثة من مجالسه، حين سامر بالخلدونية

⁴¹ يقصد بكلمة: ممن تعلمون: الرقباء عليه. وهم: أبوه. ومن وضعهم رقباء عليه في المدرسة.

بطلب من النادي الأدبي بتونس؛ مسامرتة الشهيرة التي سماها (الخيال الشعري عند العرب) فقد كان لها دويٌّ في الأوساط الأدبية.

وفي إحدى جلساته بين أدباء وشعراء عصره. صرّح لجلسائه قوله - الذي لخصّ في رسالةٍ بعثها لصديقه محمد الحليوي.⁴² بأنه في بيئته الثقافية، يشعر شعورًا عميقًا بالضياع، بين جامدين، قد احتلوا مكانًا في الأهب (يجب أت يحتله الأحياء الذين يعرفون كيف ينفخون في الشعب روح الحياة؛ والذين يعرفون كيف يعلمونه محبة الحق والقوة الجمال).⁴³ ويذكر عنه من اختلف إلى مجالسه، أنه يتكلم إلى محدثه بعينين تنظران إلى الوجود نظرة الناغم الهازيء الساخر من الحياة⁴⁴ وكان يشعر بالغرابة، لأنه لاحظ أن بيئته الثقافية التقليدية، مختلفة- زَمَنِيَّة- عن التيارات الفكرية والأدبية التجديدية في المشرق خصوصًا، وفي العالم عمومًا. وفي واحدة من جلسات الأدب العامرة، نادى به رفاقه المخلصون زعيمًا للحركة الأدبية الجديدة في بلاده. بيد أن دعاة التقليد، تصدّوا له، ورفضوا بيانته الأدبي الذي جهر به سنة (٢ ١) في مسامرتة (الخيال الشعري عند العرب). وكان الزعيم السياسي محمد محيي الدين القليبي، أحد الناطقين بلسانهم. وفي تلك الجلسة التفت الشاعر حول يبحث عن أدباء، تتدفق في دنائهم عزمات الفتوه، ونخوة الشباب ونشوة الأحلام؛ فوجد قلة قليلةً معجبةً بعبقريته، معترفة بريادته الأدبية في تونس، مؤمنة مثله بوجود خلق الأدب التونسي الجدير بالخلود. وكان محمد الحليوي أحد أولئك الأنصار - الذي كان يجالسه في رسالة الدائمة- فكتب إلى أبي القاسم يوم ٢٢ ففريي/ شباط (١ ٣٠) اعترافًا بزعامته هذا نصه: (لا شك أنك ستتولى زعامة التجديد الأدبي في تونس، ونكون نحن تحت لوائك⁴⁵

⁴² يقول الشابي لمحمد الحليوي: (رأيت كلمتك عن (العالم) وأنا ماكنت أتوقع منها غير ذلك فقد كنت أعلم أن رئيس تحريره (يعني بره (يعني رين العابدين السنوسي) ليس سوى آلة يديرها محي الدين و... ممن لف هذين من تلك الطائفة المرذولة) (الثاني: أبو القاسم- رسائل الشابي. ص: 86).

⁴³ أبو شادي: أحمد ركي: - جماعة أوبولو وأثرها في الشعر الحديث. ص: 414-416 .

⁴⁴ الفورتى: البشير: أبو القاسم كما يجب أن يقال عنه في حيله وبعدموته-دراسات عن الشابي - ص: 79 .

⁴⁵ الشابي: أبو القاسم: رسائل الشابي. ص: 63.

تلك هي بعض مجالس أبي القاسم، التي اعترف معاصروه بأهميتها، وقالوا عنه فيها: (غير أن امجددين قصرُوا عن: بلوغ مستوى المسؤولية الأدبية الجديدة التي تحملها الشابي).⁴⁶

7. زواجه:

نرى أننا – الآن – في مواجهة مشكلة، من أهم المشاكل التي تتعرض لكل من أراد درس حياة الشابي، وهي مشكلة زواجه. وهذه المشكلة عويصة جدًا: لأن الأخبار حولها مضطربة متناقضة، ولأن البحث العلمي يوقفه الحياء وقرب العهد.⁴⁷ إن الإخباريين يسكتون، أو يطيلون الحديث عن يقين وعن غير ما يقين؛ ويذكرون بأن الشابي قد تزوج عن كره (إرضاءً لوالديه وذويه؛ ورغبة في تكوين عائلة حسب العرف السائد بالجنوب التونسي).⁴⁸ وقد زعم بعضهم، أنه لم يكن سعيدًا في حياته الزوجية. وهذا فريق آخر (من بينهم أخواه السيدان: محمد الأمين، وعبد الحميد الشابي) يبتسم عند كل هذا، ويذكر في ارتياح وثقة. أنه تزوج بعد موت أبيه سنة (٣٠ ١) وأن ابنه الأكبر ولد يوم ٢ نوفمبر/ تشرين الثاني (٣١ ١) ولعل الحق مع هؤلاء وهؤلاء: إذ كلنا نعلم بتونس، ان الزواج الشرعي يبتدىء عند (الكتابة)⁴⁹ ويتم عند الدخول.⁵⁰

فلعل الكتابة وقعت حوالي سنة (٢٨ ١) والدخول سنة (٣٠ ١) وهكذا يعتبر الشابي متزوجًا في نظر الشرع منذ سنة (٢٨ ١) هذا الرأي، الواقع التونسي في أيام الحماية؛ وكذلك ما نجده من تناقض ظاهر في كتاب السنوسي، إذ هو يجعله مُتَزَوِّجًا سنة (٢٨ ١)؛ ثم يجعله في فيفيري/ شباط (٣٠ ١) يتكلم عن (أخي الخطيبة) في سهرة

⁴⁶ المصدر نفسه. ص: 42 .

⁴⁷ غديرة: عامر - محاولة جعل إطار لترجمة الشابي-درسات عن الشابي - ص: 48.

⁴⁸ انظر (مجلة الأفكار): عدد: نرّمبر/ تشرين الثاني. ص: 20 .

⁴⁹ أي عقد القران بواسطة قاضي الشرع، أوفي المحكمة الشرعية.

⁵⁰ أي ليلة دخول الزوج على زوجته.

بالمدرسة السليمانية⁵¹ ويقول عبد الله شريط في هذا الصدد: إن أهله قد حرصوا، على أن تكون له زوجة وأولاد، كما هي عادة الآباء والأمهات: أي أن يقبل على الانتحار⁵² لكي يترك في المجموعة البشرية، أعقاباً من لحم ودم، ولو أدى ذلك، إلى أن تحرم هذه البشرية⁵³ من أعقاب الشابي الشعرية، التي كانت ستكون هائلة حقاً، لو أمهله الموت مدة كافية. هذا قليلٌ من كثيرٍ مما قيل في زواج الشابي، الذي شغل الدارسين والباحثين، والذي اكتفينا منه، بذكر ما يناسب هذه الدراسة⁵⁴.

8. مرضه:

لقد وقع أبو القاسم الشابي، في المدة الزمنية الواقعة بين سنة (٢٨ ١) وسنة (٣٠ ١) فريسة مرض خطير، ربطها كثير من الأدباء بالمشكلة السابقة التي عالجناها- وهي مشكلة الزواج – ووقفوا عندها، يعلون ويحللون ويتأولون. غير أن البحث العلمي، سيمكننا في هذه المرة، من البت في القضية، بالقول الفصل كما سنراه⁵⁵

نحن نعلم أنه مصابٌ بشكو علتة في أثناء كل ذلك، ويختلف إلى الأطباء. ونحن نعلم – أيضاً – أنه قد انتهى من دراساته الزيتونية والحقوقية، ولم يحاول الارتزاق بشهادته. ثم انا نعلم أنه يكتب كثيراً في سنة (٣٠ ١) وسنة (٣١ ١)؛ وانه يستقر بالشابية ويقضي صيف (٣٢ ١) مع أخيه الصغير (محمد الأمين) في بلدة (عين دراهم) ثم يعود إلى (توزر) ويرتحل في صيف (٣٣ ١) إلى (المشروحة) من

⁵¹ السنوسي: زين العابدين – أبو القاسم الشابي- ص 15-18-19 .

⁵² يقول الانتحار: بسبب مرض القلب الذي كان يلازمه، والذي يؤدي الزواج معه إلى الهلاك.

⁵³ شريط: عبد الله: الشابي وهذه الحيات – جراسات عن الشابي – ص: 59.

⁵⁴ كانت زوجته لا تزال على قيد الحياة سنة (1988) أي سنة طبع ديوانه، وذكر أخيه محمد الأمين الشابي تاريخ حياته في آخر الديوان الذي أخذنا عنه معلومات عن أسرته. وقد أنجب الشابي منها ولدين، أولهما: محمد، سمي باسم والد الشابي وهو ضابط في الجيش التونسي. ولثاني (جلال) وهو موظف (الشابي). وهو ضابط في الجيش التونسي. والشابي (جلال) وهو موظف (الشابي): محمد أمين – الديوان – ص: 561).

⁵⁵ كرو: أبو القاسم محمد: . ص: 49.

أرض الجزائر، ثم يذهب إلى تونس، ويلتحق منها بمسقط رأسه. وفي هذه المدة التي ينتابها المرض مدامًا وجزرًا، ويشكو فيها علته سرعًا ومهادنةً، يشرع – وهو متعب – في جمع ديوانه⁵⁶

وعند ما أطل الشتاء، قدم الشابي إلى (توزر) ومكث فيها مستريحًا هديًا. وفي شهر رمضان (١٣٥٢ هـ) الموافق شهر ديسمبر كانون الأول، سنة (١٣٣) وتحديدًا في أوائل شهر كانون الثاني سنة (١٣) عاوده المرض بهيئة ألم أقوى وأشد من ذي قبل؛ فراءة لزامًا عليه أن يأوي إلى فراشه كي يمر الشتاء بسلام؛ وهكذا كان. وحين أطل الربيع كان شاعرنا يشد رحاله، في سفر إلى (الحامة) ساعيًا كل جهده للوقوف على سبب دائه وتطور علته.

وفي أثناء ذلك يظهر – بصفة غير واضحة إلى الآن – بمدينة (طبرقة) فيتحدث إلى الزعيم السياسي (صفر) ويكتب قصيدته المشهورة: (إذا الشعب يوماً أراد الحياة...) ومن (توزر) يأتي إلى تونس يوم: ٢ أوت/ آب (١٣) وينزل ببعض فنادق العاصمة الذي مكث فيه حتى شهر سبتمبر/ أيلول، ثم ينتقل منه إلى ضاحية (أريانة) (وفي الحقيقة نحه في تلك الصائفة مصورًا ب (حمام الأنف) مع السيدين مازيغ والسنوسي)⁵⁷ والمرض ملازمٌ له، وهو يسعى جاهدًا لتخفيف وطأته عليه.

9. وفاته:

لقد تركنا أبا القاسم الشابي بقرب أصدقائه- في حديثنا عن مرضه- يداوي علته، ويسعى بمساعدتهم للخروج من الآلام الشديدة التي تثقل عليه حياته. ولقد تركناه- كما ذكرنا سابقًا- ب (حمام الأنف) مع السيدين زين العابدين السنوسي، ومازيغ. ولنترك الحديث لعامر

⁵⁶ رسالة إلى صديقة الحليوي. نشرت في مجلة الفكر، سنة: (1956).

⁵⁷ كرو: أبو القاسم محمد: دراسات عن الشابي. ص: 50.

غديرة، الذي بكشف علة وفاته بما نصّه (يمر شهر سبتمبر/ أيلول⁵⁸ وتتتابع الأيام، والناس يتساءلون عن علته⁵⁹ أداء السلّ أم مرض القلب؟ ونحن كما ذكرنا سابقاً رأينا- لنحقق بصفة واضحة علمية علة أبي القاسم وظروف وفاته- أن نذهب الى المستشفى الذي ذكر لنا أنه مات به؟ وأن نفتش عن ملقه، إن كان له ملف. وقصدنا "مستشفى الحبيب تامر" فإذا نصّ بالأيطالية (كان المستشفى في العهد يسمى "مستشفى الطليان") يخص الشابي وهذا تعريبه:

أبو القاسم الشابي تحت عدد ٧ ٢٥.

العمر: ٢ سنة (ذلك أنه يحسب حساباً هجرياً: من ١٣٣٧ إلى ١٣٥٣).

الدين: الإسلام

الحالة: متزوج

المسكن: أريانة.

تاريخ الدخول إلى المستشفى: ٣ أكتوبر/آب (٣ ١)

الفحص الطبي: مرض القلب.

تاريخ الوفاة: أكتوبر/آب (١ ١)⁶⁰

ويجدر بنا أن نضيف إلى ما قدّمناه مذكره شقيقه "محمد الأمين الشابي" عن وفاته في كتاب "الديوان"⁶¹، والذي جاء بالنص التالي: "وفي السنة نفسها"⁶² أصيب بداء تضخم القلب، وهو في الثانية والعشرين من عمره. بيد أنه رغم نهى الطبيب لم يقلع عن عمله الفكري، وواصل إنتاجه نثراً وشعراً. وقد نشرت له سنة ٣٣ ١ بمجلة "أوبولو" المصرية، قصائد عملت على التعريف به في الأوساط

⁵⁸ يقصد شهر (أيلول سنة 1934).

⁵⁹ علته: أي علة المرض الذي أصيب به أبو القاسم الشابي.

⁶⁰ عن مجلة "الفلكل" التونسية-السنة الخامسة-العدد الثالث-ديسمبر/كانون الأول سنة (1929) ص: 18-25.

⁶¹ أي سنة (1929) وهي السنة التي تكب فيها أبو القاسم بوفاة والده.

⁶² أي سنة (1929) وهي السنة التي تكب فيها أبو القاسم بوفاة والده.

الأدبية بالشرة بالشرق العربي، وإلى أبي القاسم، أوكل صديقه الدكتور أحمد زكي أبوشادي تصدير ديوانه "الينبوع"
 "لم يكن الشاعر المريض يغنادر (توزو) إلفي الصيف؛ ويقصد المصطافات الجبلية كعين دارهم بالشمال التونسي سنة (٣٢ ١) والمشروحة ببلاد الجزائر سنة (٣٣ ١) وشرع أثناء مصيف سنة (٣ ١) في جمع ديوانه "أغاني الحياة" بنية طبعه بمصر⁶³ فانتسخه بنفسه بـ "جامعة الجريد" مستعيناً ببعض أدبائها؛ لكن باغتته المنية، وحالت دون مانوى. فقد انتابه المرض بغايه الشدة، وقصد "تونس" يوم ٢ من أغسطس/آب سنة (٣ ١). توفي سحرًا⁶⁴ يوم أكتوبر/تشرين الأول سنة (٣ ١) ثم نقل جثمانه إلى بلده (الشابية) قرب "توزر" حيث قبره. ثم نقل إلى توزر أمام دار الثقافة بين النخيل"⁶⁵.

10. آثاره:

رغم السن الصغيرة اقصيرة العمر، التي عاشها أبو القاسم الشابى، فقد تسنى له بجهد العلمى، وذكائه، وإرادته على التحصيل منذ نعومة أظفاره، أن يغني المكتبة العربية بمؤلفاتٍ يمكن تلخيصها بما يلي:

- ١- أغاني الحياة: وهو مجموع شعره. طبع لأول مرة في القاهرة سنة (٥٥ ١) ثم بتونس سنة () ١. وطبعة أخرى بتونس سنة (٧٠ ١) وطبع أيضاً في بيروت سنة (٧٢ ١).
- ٢- الخيال الشعري عند العرب: وهي محاضرة ألقاها الشاعر وطبعها بتونس، سنة (٢ ١) ثم أعيد طبعها في تونس (١ ١).

⁶³ حيث تطوع الأستاذ أحمد زكي أبو شادي للإشراف على طبعه.

⁶⁴ بالمستشفى الإبطالى "القديم" بحي "موتقاورى" ويسمى الآن مستشفى الحبيب تامر.

⁶⁵ الشابى: محمد الأمين. الديوان: 564-263 .

٣- مذكرات الشابي: وهي يوميات كتبها لمدو شهر ونيف سنة (٣٠ ١) ونشرت بتونس سنة (١).

4- رسائل الشابي : وهي مجموعة من الرسائل بعث بها إلى صديقه محمد الحليوي...وله رسائل أخرى مع أصدقاء آخرين من تونس وسوريا ومصر وتضم هذه المجموعة (٣) رسالة للشابي و (٠) رسالة للحليوي و (٢٠) رسالة لصديقه محمد البشروس. ونشرت الرسائل بتقديم أبي القاسم محمد كرو-طبع تونس (٠ ١)⁶⁶.

الفصل الثاني شعر أبي القاسم الشابي و أغراضه

ليست العملية الشعرية عند الشابي عملية فنية مقصودة لذاتها، بل هي وسيلة من الوسائل التي يمكن أن تساهم في إيصال مبادئه الثورية إلى مجمعة، فهو يريد لأمنة أن تهبّ بالحياة وبجمالها من أجل ترغيب الآخرين في أن يتوجّهوا إلى ذواتها أولاً فيحصلون من أنفسهم، ثم يتأملون الطبيعة التي يلف أنظارهم إلى جمالاتها، ليدركوا أهمية الحياة وبالتالي أهمية الحرية. وبالمقدار الذي يتحرّق فيه الشاعر ويتألم من أجل الآخرين، رأينا أن الاستجابة لدعوات لم تكن بالحجم الذي أراده، من هنا كانت ردود الفعل عنده عنيفة أحياناً فينهال على الخاملين والكسالى بالتقريع، و ينصريف عنهم متوجها لى الطبيعة بكليته، متأثراً بالرومنطيين، لعله يجد راحة لنفسه المتمردّة، ففي الغاب الذي توجه إليه، عودة إلى الفطرة، وعالم الغابالمفهم الرومنطقي عالم خيالي عاطفي، والحديث عنه يدل على إحساس الشاعر بالغرابة، وهو بين أهله وقومه، هذا الإحساس يتطور مع مرور الزمن إلى ملل ويأس واشمئزاز من الذي يتمسكون بأعراف بالية لا يُقرّها عقل ولا تتوافق مع الدين. إذًا، جعل الشابي من الشعر منطلقاً ليعبر عن ذاته وما يعتلج فيها من هموم، سواء ما يدور منها حول هذه الذات، أو ما يتعلق بالآخرين.

أما طريقته في النظم، فإنها تقوم على أسس و منطلقات، تراعي بمجملها أمرين هما: عمق المعاني، و سهولة الألفاظ. فامعاني ترتبط بالإنسان وبالحياة، وبالشعور. والألفاظ سهلة، ليّنة، فيها قوة وقدرة على حمل المعاني المختلفة بحيث تأتي مُشعّة، تتداخل من خلالها المحسوسات، مما يقربّ العبارة إلى الرمزية لما يكتنفها من غموض أو خيال عميق، وقد أشبهه في ذلك جبران خليل جبران. وكما اهتم

باللغة المفردة وبالمعنى العميق، فقد جاء بأوزان شعرية وشيقة تتلاءم مع الإيقاعات الموسيقية التي توخى الشاعر أن يقدم معانية عبرها، وهي موسيقى انسيابية تدغدغ مشاعر الإنسان الفرد، فتنطربه حيناً، وتثيره حيناً آخر فتلهب أحاسيسه، أو أنه يحس بالانفلات والتحلل من كل قيد! لذلك، نجد أنه يكثر من استعمال بحر الرمل، والمتقارب، ومجزوء الكامل، والمنسرح والخفيف، وكلها أوزان تخدم أغراضه الشاعر وتتلاءم مع طبيعة شعره، في التعبير عن موضوعاته التي أشرنا إليها.

أما معانيه و أغراضه فتشمل على نواحي الحياة المختلفة: الموت الحياة اليأس والامل، الجموم والتعدّم، الظلم والعدل، الفقر و الغنى، الكره والحب، والعدم والوجود، الجهل والعلم فضل عن كلّ ما يتعلّق بالحياة الإنسانية و مشكلاتها و تعقيداتها. و على العموم فإنها شعره يتروّح بين الحديث والقدم و بين النعمة والتسليم، النعمة على الموروث البال والتسليم للأمر الواقع. إنّ للشابي اثار من أعماله منها:

❖ ديوان (أغاني الحياة) جمعة الشابي وأئمة مع طبعة أحمد زكي أبو شادي.

- ❖ الهجرة النبويّة التي نشرتها مجلة العالم في التونس.
- ❖ صفحات دامية وهي قصة خيالية لحياته الثائرة.
- ❖ كتاب (رسالة الشابي) هو رسائل يبادلها الشاعر مع كثير من أدباء مصر وتونس وسوريا.
- ❖ كتاب (يوميات الشابي) وهو مجموعة من المذكرات اليومية.
- ❖ رواية (المقبرة) هي نوع من الاعترافات.
- ❖ كتاب (جميلة بشينة) هي قصّة رائعة كتبها ريّة البدعيّة.
- ❖ كتاب (شعراء المغرب الأقصى) محاضرة تناول فيها كتاب الأدب العربي في المغرب الأقصى محمد بن العباس القبّاج.
- ❖ مسرحية (السّكير) ذات فصلين من نوع الاعترافات.

❖ كتاب (الهجرة المحمديّة) هو محاضرة القاها في نادي الطلاب
بمناسبة الهجرة المحمديّة عام 1351 هـ⁶⁷.

من البيان المذكور في الفصل الثاني من الباب التي تبحث الباحثة
عن ترجمة أبي القاسم الشابي تستطيع الباحثة أن تستنبط أن شعر أبي
القاسم الشابي هو وسيلة من الوسائل التي يمكن أن تساهم في إيصال
مبادئه الثورية إلى مجعته. وأغراضه شعره تحتوى على الحياة
المختلفة من الحياة الإنسانية ومشكلاتها وتعقيداتها.

إرادة الحياة:

- (1) إذا الشَّعبَ يوماً أرادَ الحياةَ
 - (2) ولا بُدَّ للَّيلِ أنْ يَنجَلِيَ
 - (3) و مَنْ لَمْ يُعَانِقْهُ شَوْقُ الحِياةِ
 - (4) فَوَيْلٌ لِمَنْ لَمْ تَشْفَعْهُ الحِياةِ
 - المُنْتَصِرِ
 - (5) كذلك قالت لى الكائنات
 - المُسْتَتِرِ
 - (6) و دَمَدَمَتِ الرِّيحُ بَيْنَ الفِجَاجِ
 - (7) إذا ما طَمَحَتِ إلى غَايَةِ
 - الحَدَرِ
 - (8) و لَمْ أَتَجَنَّبْ وُغُورَ الشَّعَابِ
 - المُسْتَعِرِ
 - (9) و مَنْ لا يُحِبُّ صُعودَ الجِبالِ
 - الحُفَرِ
 - (10) فَعَجَّتْ بِقَلْبِي دِماءُ الشَّبَابِ
 - أخَرِ
- فلا بُدَّ أنْ يَسْتَجِيبَ القَدْرَ
ولا بُدَّ لِلقَيْدِ أنْ يَنكسِرَ
تَبَخَّرَ في جَوْها، واندَثَرَ
من صَفَعَةِ العَدَمِ
وَحَدَّثَنِي رُوحُها
و فُوقَ الجِبالِ و تحتَ الشَّجَرِ
رَكِبْتُ المَنى، و نَسِيتُ
و لا كُتِبَتِ الهَبِ
يَعِشُ أبَدَ الدَّهْرِ بَينَ
وَضَجَّتْ بِصَدْرِي رِياحَ

⁶⁷ أحمد قبشي، تاريخ الشعر العربي احيث (بيروت: دار لحيه) ص: 565-567

- 11) وَأَطْرَقْتُ، أَصْغَى لِقَصْفِي الرَّعُودِ
المطر
وَعَزَفِ الرِّيَّاحِ، وَوَقَعَ
- 12) وَقَالَتْ لِي الْأَرْضُ لَمَّا سَأَلْتُ
البشر
أَيَا أُمَّ هَلْ تَكْرَهِينَ
- 13) أُبَارِكُ فِي النَّاسِ أَهْلَ الطُّمُوحِ
الخطر
وَمَنْ يَسْتَلِذُّ رُكُوبَ
- 14) وَالْعَنُ مَنْ لَا يُمَاشِي الزَّمَانَ،
الحجر
وَيَقْنَعُ بِالْعَيْشِ عَيْشَ
- 15) هُوَ الْكَوْنُ حَيٌّ، يُحِبُّ الْحَيَاةَ
كَبُرَ
وَيَحْتَقِرُ الْمَيِّتَ، مَهْمَا
- 16) فَلَا الْأَفْقُ يَحْضِنُ مَيِّتَ الطُّيُورِ،
الزهر
وَلَا النَّحْلُ يَلْتِمُ مَيِّتَ
- 17) وَلَوْلَا أُمُومَةٌ قَلْبِي الرَّؤُومُ
الحفر
لَمَا ضَمَّتِ الْمَيِّتَ تِلْكَ
- 18) فَوَيْلٌ لِمَنْ لَمْ تَشْفُهُ الْحَيَاةُ
19) وَفِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيْالِي
والضجر
- 20) سَكَّرْتُ بِهَا مِنْ ضِيَاءِ النُّجُومِ
21) سَأَلْتُ الدُّجَى: هَلْ تُعِيدُ الْحَيَاةَ
22) فَلَمْ تَتَكَلَّمْ شِفَاهُ الظَّلَامِ
23) وَقَالَ لِي الْغَابُ فِي رِقَّةٍ
24) وَيَجِيءُ الشِّتَاءُ، شِتَاءُ الضَّبَابِ
المطر
- وَعَنَيْتُ لِلْحُزْنِ حَتَّى سَكِرَ
لِمَا أَدْبَلْتَهُ رَبِيعَ الْعُمُرِ
وَلَمْ تَتَرْتَّمْ عَذَارَى السَّحَرِ
مُحَبَّبَةً مِثْلَ خَفَقِ الْوَتْرِ
شِتَاءُ الثَّلُوجِ، شِتَاءُ
- 25) فَيَنْطَفِئُ السَّحَرُ، سِحْرُ الْعُصُونِ،
النمر
وَسِحْرُ الزُّهُورِ، وَسِحْرُ
- وَسِحْرُ الْمُرُوجِ،
26) وَسِحْرُ السَّمَاءِ الشَّجِيِّ الْوَدِيعِ،
الشهي العطير

- وَأَزْهَارُ عَهْدِ حَبِيبٍ
وَيَدْفِنُهَا السَّيْلُ، أُنَى
تَأْلُقُ فِي مُهْجَةٍ وَانْدَثَرُ
ذَخِيرَةَ عُمَرِ جَمِيلٍ،
وَأَشْبَاحَ دُنْيَا، تَلَاشَتْ
وَتَحْتَ التُّلُوجِ، وَتَحْتَ
وَقَلْبِ الرَّبِيعِ الشَّدَى
وَعَطْرِ الزُّهُورِ، وَطَعْمِ
وَتَدْوَى صُرُوفٍ،
مُوشِحَةَ يَغْمُوزِ السَّحَرِ
وَسِحْرِ الْمَسَاءِ؟ وَضَوْءِ
وَنَحْلِ يَغْيَى، وَغَيْمِ
وَأَيْنَ الْحَيَاةِ الَّتِي
ظَمِنْتُ إِلَى الظِّلِّ تَحْتَ
- (27) وَتَهْتَوِي الْعُصُونُ، وَأُورَاقُهَا،
نَضِيرُ
(28) وَتَلْهُو بِهَا الرِّيحُ فِي كُلِّ وادٍ،
عَبْرُ
(29) وَيَفْنِي الْجَمِيعُ كَحَلْمِ بَدِيعٍ،
(30) وَتَبْقَى البُذُورُ، الَّتِي حُمِّلَتْ
عَبْرُ
(31) وَذَكَرَى فِصُولِ، وَرُؤْيَا حَيَاةٍ
زُمَرُ
(32) مِعَانِقَةً-وَهِيَ تَحْتَ الضَّبَابِ
الْمَدْرُ
(33) لِطِيفِ الْحَيَاةِ الَّذِي لَا يُمَلُّ،
الْحَضِيرُ
(34) وَحَالِمَةَ بِأَغَانِي الطُّيُورِ،
النَّمْرُ
(35) وَيَمَشِي الزَّمَانُ، فَتَنُمُو صُرُوفٍ،
وَتَحْيَا أُخْرُ
(36) وَتُصِيحُ أَحْلَامُهَا يَقْضَةَ،
(37) نُسَائِلُ: أَيْنَ ضَبَابُ الصَّبَاحِ؟
الْقَمَرُ؟
(38) وَأَسْرَابُ ذَاكَ الْفَرَّاشِ الْأَنِيقِ؟
يَمْرُ؟
(39) وَأَيْنَ الْأَشْعَّةُ وَالكَائِنَاتُ؟
أَنْتَظِرُ؟
(40) ظَمِنْتُ إِلَى النُّورِ، وَفَوْقَ الْعُصُونِ!
الشَّجَرِ

- 41) ظَمِنْتُ إِلَى النَّبْعِ، بَيْنَ الْمُرُوجِ،
فَوْقَ الزَّهْرِ
- 42) ظَمِنْتُ إِلَى نَعْمَاتِ الطُّيُورِ،
الْمَطَرِ
- 43) ظَمِنْتُ إِلَى الْكَوْنِ! أَيْنَ الْوُجُودُ
الْمُنْتَظَرُ؟
- 44) هُوَ الْكَوْنُ، خَلْفَ سُبَاتِ الْجُمُودِ،
45) وَ مَا هُوَ إِلَّا كَخَفَقِ الْجَنَاحِ
وَ انْتَصَرَ
- 46) فَصَدَّعَتِ الْأَرْضَ مِنْ فَوْقِهَا
الصُّورَ
- 47) وَجَاءَ الرَّبِيعُ، بِأَنْغَامِهِ،
العَطِيرِ
- 48) وَقَبَّلَهَا قَبْلًا فِي الشِّفَاهِ،
49) وَقَالَ لَهَا: قَدْ مُنِحَتِ الْحَيَاةُ،
الْمُدَّخَرِ
- 50) وَبَارَكَكَ النُّورُ، فَاسْتَقْبَلِي
العُمُورِ
- 51) وَمَنْ تَعْبُدُ النُّورَ أَحْلَامُهُ
52) إِلَيْكَ الْفَضَاءَ، إِلَيْكَ الضِّيَاءَ
المُزْدَهَرِ!
- 53) إِلَيْكَ الْجَمَالَ الَّذِي لَا يَبِيدُ!
النَّضِيرِ
- 54) فَمِيدِي-كَمَا شِنْتِ-فَوْقَ الْحُقُولِ،
الزَّهْرَ
- 55) وَنَاجِي النَّسِيمِ، وَنَاجِي الْعُيُومِ،
القَمَرَ
- يَغْنَى، وَيَرْقَصُ
وَهَمْسِ النَّسِيمِ، وَلَحْنِ
وَأَنَّى أَرَى الْعَالَمَ
وَفِي أَفْقِ الْيَقَظَاتِ الْكُبْرِ
حَتَّى نَمَا شَوْقُهَا
وَأَبْصَرَتِ الْكَوْنَ الْعَذْبَ
وَأَحْلَامِهِ، وَصَبَاهُ
تُعِيدُ الشَّبَابَ الَّذِي قَدْ غَبَرَ
وَخُدَّتِ فِي نَسْلِكَ
شَبَابَ الْحَيَاةِ وَخَصَبَ
يُبَارِكُهُ النُّورَ أَنَّى ظَهَرَ
إِلَيْكَ النَّوْرَى، الْحَالِمِ،
إِلَيْكَ الْوُجُودِ، الرَّحِيبِ،
يَحْلُو النَّمَارَ وَغَضَّ
وَنَاجِي النَّجُومِ، وَنَاجِي

وَفِئْتَةٌ هَذَا الْوُجُودِ الْأَعْرَ
يُشِيبُ الْخِيَالَ، وَيُذَكِّي

يَصْرِفُهُ سَاحِرٌ مَقْتَدِرٌ
وَضَاعَ الْبَخُورُ، بَخُورٌ

بَأَجْنَحَةٍ مِنْ ضِيَاءِ

فِي هَيْكَلٍ، حَالِمٍ، قَدْ

لَهَيْبُ الْحَيَاةِ، وَرُوحٌ

فَلَا بُدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ

(56) وَنَاجِي الْحَيَاةِ وَأَشْوَاقِهَا
(57) وَشَفَّ الدُّجَى عَنْ جَمَالٍ عَمِيقٍ،

الفِكرِ

(58) وَمُدَّ عَلَى الْكُونِ سِحْرٌ غَرِيبٌ،
(59) وَضَاعَتِ شَمُوعُ النُّجُومِ الْوَضَاءِ،

الزَّهْرَ

(60) وَرَفَرَفَ رُوحٌ، غَرِيبُ الْجَمَالِ
القَمَرَ

(61) وَرَنَّ نَشِيدُ الْحَيَاةِ الْمُقَدَّسِ

سُحْرَ

(62) وَأَعْلَنَ فِي الْكُونِ: أَنَّ الطُّمُوحَ

الظَّفَرَ

(63) إِذَا طَمَحَتِ لِلْحَيَاةِ النُّفُوسُ

القَدْرَ!

الحياة خيار. هذا خيار تحت أيدينا، ولكن في حقيقة قد تحيرنا في ما نختار. نريد أن نجعل خيارتنا خيراً عندنا. المرء الذي فهم بأن الحياة مرّة واحدة سيجعل حياته خيراً. لا يريد أن يضيء كلّ الفرصة، و يحدّر في كلّ خيارت الحياة. و لا ينبذ أوقاته في ما لا يُفيد. والحياة ليست خطئاً، و لا نعرف متى نموت مشيناً فقط، ولانتعدّ في فعل ما نهاه الدين.

الشعر يشرح عن حُلُوِّ إرادة الحياة، و هذه مهمّ جداً لمن اراد ان يجاهد حياته. الحياة هي امانة الله و لا بدّ ان يجاهد شديداً لنيل الدرجة العلي، لأن الحياة لا ينفع بدون الجهاد. فجميل الحياة نبت من النفس، يجب علينا أن نشكر بما نلنا الآن. والحياة جميلة إذا كُنّا فريحا فيها.